معطيات السياسة الخارجية الأمريكية في العراق
(في ضوء فلسفة نيتشه)

م.م. هجران عبدالآله احمد الصالحي
قسم الفلسفة/ كلية الآداب

المستخلص:

نعرض في هذه الدراسة معطيات السياسة الخارجية الأمريكية في ضوء فلسفة نيتشه، وقد ضمناها عدة محاور، يتناول المحور الأول عرض موجز لفلسفة نيتشه أو قراءة في كتاب "**هكذا تكلم زرادشت**"، ثم يتناول المحور الثاني منها أثر فلسفة نيتشه في الفكر النازي الألماني عموماً وهتلر خصوصاً، أما المحور الثالث سيعقد مقاربة بين النازية الألمانية، والنازية في نسختها الجديدة والمعدلة، والمتمثلة بممارسات السياسة الخارجية الأمريكية في العراق. حيث لم يعد بالإمكان إدراج هذه الممارسات ضمن إطار ومصطلحات الاستعمار الامبريالي بالمصطلح الكلاسيكي القديم، لأنها امبريالية من نوع خاص تقترب كثيراً من الامبريالية التي نشأت في ألمانيا وأوربا في بداية القرن العشرين، لا بل أن الكثير من الممارسات والعوامل قد تشابهت بشكل كبير معها. ثم انتهت الدراسة بمحور أخير جاء تحت عنوان (نيتشه والنازية المعدلة) الذي حاول رسم الصورة التي صورها الإعلام الأمريكي لبوش على أنه السوبرمان أو السوبر رئيس، ولممارسات السياسة الأمريكية في العراق.

المحور الأول
فلسفة نيتشه

لطالما كانت أفكار نيتشه الفلسفية رافداً من روافد الفكر العنصري المتعالي للامبرياليات التي نشأت في العالم، حيث رأى نيتشه أن التاريخ محكوم بمبدأ الصراع أو عبارة عن سلسلة من الصراعات بين القوة والكثرة أو بين "القوة والضعف". كما يعد نيتشه واحداً من أعظم الشخصيات المصيرية في التاريخ الروحي للغرب، حيث أن أسم نيتشه يرتبط بنقد جذري للدين والفلسفة والعلم والأخلاق، ويرتبط بذلك الهجوم العنيف ضد الطبقة العامة والاشتراكية[1]، وبخلاصة العبارة فقد كان ديناميتاً فلسفياً مامس شيئاً إلا وجعله قابلاً للانفجار، حيث يصف نفسه قائلاً: " **أنا لست بشراً أنا**

[1] لوكاكش جورج، "تحطيم العقل"، ج٢، ترجمة الياس مرقص، ص١٢٠.

ديناميت"[2]. ولقد أعلن أن فلسفته موجهة للقرنين الحاليين، أي القرن العشرين والحادي والعشرين، حيث قدم نقداً جذرياً للحداثة في كل تصوراتها، كما لم يقف قدر نيتشه عند حدود النقد والهدم، بل إنه قدم نظرة خاصة للوجود، فالوجود عنده هو الحياة وليست الحياة إلا إرادة وليست هذه الإرادة إلا إرادة قوة[3]، وإن هذه الإرادة ستجعل من أمور كثيرة أرفع من الحياة نفسها، وما كان المرء يرى هذه الأشياء أفضل من الحياة لو لم تكن هناك إرادة قوة[1]، فإرادة القوة هي التي تكشف عن حقيقة الخير والشر[٢] وهي التي تجعل من الحياة المعيار الحقيقي للخير والشر وتجعل من غاية الإنسان الوصول إلى حالة معينة تحددها القواعد الأخلاقية المعمول بها، بل هي تجعل من الإنسان فرداً يسعى إلى المزيد من العلاء وهذا ما يسميه نيتشه بالإنسان الأعلى (السوبرمان)[3] حيث يقول نيتشه: "**إن ما تحتاجه في هذه المعركة المسماة بالحياة هو القوة لا الطيبة، والكبرياء لا الخضوع، والذكاء الحازم لا محبة الغير ومساعدة الآخرين، وأن المساواة والديمقراطية مناقضة للانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح، كما إن هدف التطور هو العباقرة لا جماهير الشعب، والحكم الفاصل في جميع الخلافات ومصائر الأمور هو القوة لا العدالة**"[4]. ويقول كذلك: "**لقد تيقنت من أن إرادة القوة موجودة في كل حي وأرى ان الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة لأن إرادة الخاضع تبدأ من سيادة القوة على الضعيف، فإرادة الخاضع تطمح إلى السيادة أيضاً لتتحكم فيمن هو أضعف منها، وتلك هي اللغة الوحيدة الباقية، فلا تتخلى عنها**"[5]. وبعد أن أصبحت العقيدة الأساسية لدى نيتشه هي عقيدة إرادة القوة يذهب بهذه العقيدة بعيداً فيقول:"**أننا لن نجد معنى شيء ما إذا لم نعرف ماهية القوة التي تمتلك الشيء أو تعبر عن نفسها فيه، فكل قوة هي امتلاك كمية من الواقع والسيطرة عليه**

---

[2] نيتشه، "العلم المرح"، حسان بورقيبة، ص١٩٥.

[3] قنصوة ملاح، "نظرية القيمة في الفكر المعاصر"، ص١٦٧-١٦٨.

[1] نيتشه، "هكذا تكلم زرادشت"، ترجمة فيليكس فارس، ص١٣٤.

[٢] المصدر نفسه، ص١٣٢.

[٣] زكريا، فؤاد، نيشته، ص ٩٩.

[٤] ديورانت، ول، "قصة الفلسفة"، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، ص٥٠٥.

[٥] نيتشه، "المصدر السابق، ص١٣٣.

[٦] ديورانت، ول، المصدر السابق، ص٥٢٧.

واستغلالها، لا بل حتى الإدراك الحسي في وجوهه المتنوعة هو تعبير عن قوة تمتلك الطبيعة"[6]، كما أن الرغبات الباطنة هي أيضاً شكل من أشكال إرادة القوة بل إنها القوة النابضة لهذه الإرادة وهي القوة المحددة لأفكارنا، وان الشطر الأعظم من نشاطنا العقلي يدور دون أن نشعر به، ولعل التفكير الشعوري هو أضعف تفكير وذلك لأن الغريزة هي العمل المباشر لإرادة القوة دون ان تشوبها شوائب الإدراك الحسي، فالغريزة هي أشد ما عرفه الإنسان من ألوان الذكاء[1]. ولما كانت الغريزة هي العمل المباشر لإرادة القوة لذلك يجب أن تشيد الأخلاق على أساس بيولوجي، فنحكم على كل تصرف أخلاقي بمدى تعلقه بالحياة[٢] وبذلك عمل نيتشه على أن يحكم التاريخ بمنطق الأخلاق المرتبط عنده بإرادة القوة، فالتاريخ كله مدفوع بإرادة القوة ((إرادة الظفر)). وهي قوة لا تعرف الرحمة وهي المبدأ الأول في الحياة، ووفقاً لهذا المنطق وهذه الإرادة أصبح عذاب الكثرة ضروري لانتعاش القلة، لأن غاية التاريخ ليس العامة أو الجماهير، بل الأهم الأفراد أو القلة الذين حاول نيتشه أن يحصرهم بأحسن الأشياء ومطالباً الأكثرية بالقناعة، فالأكثرية ليسوا إلا وسائل لإنتاج القلة، وان أنبل عمل في العالم هو شن الحروب لتحقيق طموحات القلة[3]، وبذلك أصبحت الدولة المثلى في نظره هي الدولة التي تمجد الحرب والمقاتلين وتتجاهل حقد وحسد الآخرين **(أنني أعلم ما في قلوبكم من حقد وحسد فأنتم من العظمة بحيث يمكنكم أن تتجاهلوا الحقد والحسد، فلتكن عظمتكم رادعة لكم عن الخجل، وإذا امتنع عليكم أن تكونوا أولياء في معرفة الحق فكونوا على الأقل جنوداً يكافحون من أجل المعرفة، وما المكافحون إلا طليعة الأولياء**"[4]. ويبلغ مدى تمجيده لهذه الحروب إلى حد أنه يجعل قيمة السلم لا لما فيه من أمن وسلام بل كوسيلة لتجديد الحروب "**أحبوا السلام كوسيلة لتجديد**

---

[1] دولوز، جيل، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، ص١٧٣.

[٢] لقد كانت رغبة نيتشه في تشييد الأخلاق على أساس بيولوجي انطلاقاً من إيمانه بنظرية (دارون) في "تنازع البقاء والبقاء للأصلح دون غيره، فالقوة هي الفضيلة السامية والضعف هو النقيصة والشر"، نيتشه، هكذا تلكم زرادشت، ترجمة فيليكس فارس، ص٦٣.

[٣] توماس هنري، "أعلام الفلسفة كيف نفهمهم"، ترجمة قرني الميت، ص٣٢٤.

[٤] نيتشه، هكذا تكلم زرادشت"، ترجمة فيلكس فارس، ص٢٨.

[٥] المصدر نفسه، ص٦٦.

[٦] المصدر نفسه، ص٦٦.

الحروب، وخير سلام ما قصرت مدته وتلته حرب، كما لا أشير عليكم بالسلام بل بالنصر، فليكن عملكم كفاحاً وليكن سلمكم نصراً"[٥].

إذن فإن الدولة المثلى في نظر نيتشه هي الدولة التي تمجد الحرب التي هي غاية الغايات والمبرر لكل شيء"**تقولون ان الغاية المثلى تبرر الحرب، أما أنا فأقول لكم، أن الحرب المثلى تبرر كل غاية، فقد آتت الحروب بعظائم لم تأت بمثلها محبة الناس**"[٦]، وبذلك ستكون دولة من ضواري الرجال وهم من السادة لا يبالون بسكان العالم أو بمبدأ أو بصوت الضمير، وحاكم هذه الدولة هو الإنسان الأعلى ((السوبرمان)) الذي ليس بحاجة إلى مواقف الشعب، إذ لا يوجد بينه وبين شعبه أي تفاهم "**فماذا تجدي العقود عند من يستطيع أن يبسط سلطانه، فهو خلق بطبعه سيداً، ولا يعرف سلوكه إلا العنف والقسوة**"[1]، وهذا الإنسان الأعلى لا يخضع لأي قانون وضعي أو الهي، ولن يخضع لحكم الجماهير، لأنه يعرف انه قانون نفسه، وليس عليه أن يخضع إلا لحكم نفسه وأهوائه ورغباته، فهو أعلى من القانون وهو يصنع لنفسه الحقيقة[٢].

---

[١] توماس، هنري، أعلام الفلسفة كيف نفهمهم، ترجمة هنري أمين، ص٣٢٤-٣٢٥.

[٢] إبراهيم، زكريا، مشكلة الإنسان، ص١٧٢.

المحور الثاني
نيتشه والنازيـة الألمانيـة

هناك عدة روافد ساهمت بشكل أو بآخر في تبلور الفكر النازي الألماني، فإلى جانب نيتشه هناك الكثير من الشخصيات الفكرية التي نظّرت لهذا الفكر بشكل أو بآخر، نذكر منها على سبيل المثال هيجل الذي قال: **بأن الدولة هي كل شيء أو تكاد أن تكون كل شيء، وهو يصفها بصفات متعددة، وان لها الحق المطلق والأسمى على الفرد. وليس من حق المفاهيم الأخلاقية التقليدية ان تقلق الدولة المتفوقة أو (الأبطال) الذين يقومون بقيادة هذه الدولة**" **(لا يجب أن تصطدم المفاهيم والمزاعم الأخلاقية بالأعمال التاريخية ومنجزاتها)**[1]، ونجد كذلك هنريج فون ترتشكة (الذي كان يعمل أستاذاً في جامعة برلين) الذي يضيف إلى ما جاء به هيجل بالقول: "**إن السلام هو العار الذي لحق بالفكر والأخلاق في وضعها هذا**"[2]، كما يقول: "**إن الحرب ليست بالضرورة العلمية فقط، بل إنها ضرورة نظرية أيضاً، ومقتضى منطقي، ومفهوم الدولة هو مفهوم الحرب، فالسلطان هو روح الدولة وجوهرها**"[3].

كما يعد فاغنر وهو أحد الموسيقيين المشهورين في تلك الفترة والتي جسدت أعماله أفكار كل من شوبنهور ونيتشه والذي قال عنه هتلر" **من يرغب في فهم ألمانيا الاشتراكية وروحها الوطنية فعليه ان يتعرف على موسيقى فاغنر**"[٤]

لقد كان لنيتشه التأثير الأكبر في صياغة هذا الفكر، والذي لاقى فكره الفلسفي تمجداً كبيراً من قبل هتلر، حيث كان كثيراً ما يقوم بزيارة متحف نيتشه في ويمار، ونشر الدعاية عن إجلاله للفيلسوف هذا، ويأخذ صوراً له وهو يحملق ضاحكاً في تمثال نيتشه النصفي[٥]، لا بل أنه قام بتوزيع كتاب نيتشه **(هكذا تكلم زرادشت)** للجنود الألمان الملتحقين بجبهات الحرب وسمى هذا الكتاب بـ**(إنجيل الألمان)**.

---

[١] شيلر، وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، ج١، ترجمة خيري حماد، ص١٩٣.

[٢] المصدر نفسه، ص١٩٤.

[٣] المصدر نفسه، ص١٩٣-١٩٤.

[٤] المصدر نفسه، ص١٩٧.

[٥] المصدر نفسه، ص ١٩٥.

ولقد كان إعجاب هتلر بفلسفة نيتشه لعدة أسباب منها، موقفه ضد الديمقراطية ومشيداً بإرادة القوة وممجداً للحرب والمقاتلين، ومتكهناً بظهور الإنسان الأعلى (السوبرمان)، حتى ان هتلر كان يقتبس كثيراً من أقوال نيتشه، حيث كان يقول وهو يتحدث عن الدولة والسلطان: "**ان المجتمع لم يعتبر الفضيلة قط إلا وسيلة إلى القوة والسلطان والنظام وليست الدولة إلا تنظيماً للأخلاقية، فهي صورة العزيمة على الحرب والثأر**"[1]، كما مجد الإنسان الأعلى وصوره على أنه حيوان مفترس أو وحش أشقر[2] " **أنه وحش مغبر رائع راغب رغبة قوية في الغنيمة والنصر**"[3]، كما أن هناك موضوعاً آخر كان له أثر كبير في الفكر النازي، وهي فكرة الحرب عند نيتشه وتمجيده لها واعتداده بالسلام كوسيلة لتجدد الحروب، وما الخير إلا سمى الاتصاف بالشجاعة[4]، كما أثرت فكرة دارون ونيتشه في حياة هتلر حيث يقول هتلر في الحفاظ على النوع والعنصر المميز "**ان الحياة كلها ليست سوى كفاح أزلي وان العالم ليس إلا غابة يعيش فيها الأصلح ويحكم فيها الأقوى، وإنها عالم يتغذى فيه كل مخلوق على مخلوقات أخرى** " ويعني بذلك موت الضعيف في حياة الأقوى. كما يقول هتلر في كتابه (كفاحي) " **وفي النهاية آن لدافع البقاء الذاتي ان ينتصر ويتغلب على بقية الأجناس، لقد نمت عظمة الجنس البشري في هذا الكفاح الأزلي وهي لا تنتهي ولا تزول إلا في استمرار السلام الدائم**"[٥]. كما نجد أن هذه الفكرة قد تجسدت في فكرة نيتشه للوصول إلى الإنسان الأعلى (السوبرمان) وذلك من خلال التفوق على الإنسان الحالي ((وما الإنسان إلا كائن يجب أن نتفوق عليه))[٦]، لقد أصابت هذه الفكرة وتراً حساساً في عقل هتلر، فقد نسب إلى نفسه هذه الصفات، لا بل انه لم يكتفِ بهذا بل أوردها في كثير من تعابيره السياسية والفكرية في كتابه **(كفاحي)** كما غدت عبارة (سادة العالم) التي أوردها نيتشه في كتاباته الفلسفية إحدى العبارات الشائعة في هذا الكتاب، وليس ثمة شك في أن هتلر اعتبر نفسه في نهاية الأمر الإنسان الأعلى الذي تحدث عنه نيتشه في نبوءاته الفلسفية[٧].

---

[١] شيلر، وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، ج١، ترجمة خيري حماد،ص١٩٥.

[٢] لقد أشاد نيتشه بالشعب الألماني في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) وفي كتب أخرى ووصفهم بالوحوش الشقر.

[٣] المصدر نفسه، ص١٩٦.

[٤] نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فيلكس فارس، ص٦٦.

[٥] شيلر، وليام، المصدر السابق، ص١٧٢.

[٦] المصدر نفسه، ص٦٧.

[٧] المصدر نفسه، ص١٩٥.

المحور الثالث

مقاربة بين النازية الألمانية والسياسة الخارجية الأمريكية (النازية المعدلة)

لم يعد بالإمكان تفسير الممارسات الأمريكية في العراق بأنها ممارسات عشوائية وغير منهجية، بل إنها ممارسات همجية تنم عن عدوانية موجهة بالدرجة الأولى إلى زرع الدمار والخراب بكل أشكاله وأنواعه في بقاع العالم العربي والإسلامي عامة وفي العراق خاصة. وبعد أن رسخت هذه القوات المحتلة ذيولها في مناطق عديدة من العالم العربي والإسلامي وأشاعت روح الاستسلام والعمالة، قامت بإظهار رغبتها في القضاء على كل أشكال المقاومة لهذه الامبريالية المتغطرسة والمتعالية والتي تمثلت في المقاومة العراقية، لغرض فرض قوتها وسيطرتها بشكل مطلق على كل أرجاء العالم العربي والإسلامي، والتحكم بمصائر الشعوب لهذه البلدان واستغلال خيراتها وثرواتها الطبيعية والبشرية بما يمكنها من السيطرة على العالم بأسره خاصة وان الفرصة الآن مواتية وخاصة بعد سقوط المعسكر الشرقي حيث سعت أمريكا للتفرد بالعالم ويقول في ذلك كولن باول وزير الخارجية الأمريكي (هذا هو زمن الفرص العظيمة للولايات المتحدة إذ ليس هنالك أي ايديولوجية أخرى يمكنها حقاً منافسة ما يمكننا تقديمه للعالم) ويقول "ان على أمريكا ان تستخدم كل ما لديها من قوة، قوتنا السياسية، قوتنا الدبلوماسية، قوتنا العسكرية، وبالأخص قوة أفكارنا لنحافظ على تعاطينا بشؤون العالم"[1].

كما لم يعد من المناسب اعتبار هذه السياسات الموجهة إلى الوطن العربي والإسلامي على أنها سياسات امبريالية واستعمارية بالمعنى الكلاسيكي القديم، بل هي امبريالية من نوع خاص يقترب كثيراً من تلك الامبريالية التي نشأت في أوروبا وفي ألمانيا بالذات والمسماة (بالنازية)، لا بل أنها أضافت شيئاً جديداً لتلك الامبريالية، وهي شرعية إبادة الشعوب كمدخل لاحتلالها وهذا تجلى واضحاً في الحصار الذي فرض على الشعب العراقي ومن ثم احتلاله بالكامل.

ولهذه الأسباب وغيرها يمكن القول أن هناك تشابهاً بين الفكر النازي الألماني والسياسات الخارجية الأمريكية الموجهة ضد الشعوب التي احتلتها أو وقعت تحت سيطرتها، لا بل يمكن عدها نازية معدلة لأنها أضافت للنازية فصولاً جديدة أكثر بشاعة ،أكثر لا انسانية وأكثر احتقارا للقانون الدولي. كما انه يمكن القول ان حدود هذه التشابه لم تقف عند حدود الممارسات بل أنها تشابهت حتى في الأسباب والعوامل التي ساعدت في بلورتها وتكوينها بالشكل الذي كانت فيه وبالشكل الذي

---

[1] مكتب برامج الإعلام الخارجي لوزارة الخارجية الأمريكية، www.usinfo.state.cov

هي عليه الآن، ويمكن تلخيص بعض أوجه الشبه بين العوامل التي ساهمت في نشأة النازية الألمانية وعودتها بشكلها الجديد أو بنسختها المعدلة والمتمثلة بالسياسات التي تتبعها السلطة الحاكمة في أمريكا. بالنقاط الآتية:-

١. جاء هتلر إلى دفة الحكم في ألمانيا بواسطة الانتخاب الديمقراطي، حيث بدأ هتلر حملته الانتخابية بعاصفة دعائية أعلن فيها أنه سيعيد ألمانيا إلى قوتها ويرفض التعويضات والقروض ويقضي على الفساد والرشوة ويوفر العمل للعاطلين، ويعيد الاعتبار والهيبة لألمانيا بعد هزيمتها في الحرب، ويسعى لحماية الشخصية القومية للشعب الألماني وسيخدم مصالح الشعوب التي تسكن هذه المنطقة[1]، وبواسطة هذا الخطاب السياسي الحماسي المفعم بالوعود الداعي بإخراج ألمانيا من وضعها. استطاع هتلر أن يعتلي دفة السلطة[٢].

كذلك نجد بوش يصل إلى السلطة بواسطة الانتخاب الديمقراطي أيضاً وبواسطة خطاب مفعم بالحماسة والذي تبنى فيه الحرب على الإرهاب لغرض إعادة الهيبة لأمريكا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ومحاولة الخروج من الوضع الاقتصادي الصعب الذي عانت منه وما زالت تعاني منه أمريكا بعد تلك الأحداث. وبذلك سعت إدارة بوش للترويج ضد الإرهاب لتخفي أهدافها ومصالحها الشخصية "كما فعلت ألمانيا عندما روجت للإرهاب القادم من الدول المجاورة، محاولة إخفاء أهدافها الحقيقية وهي السيطرة على موارد الشعوب وإخراج ألمانيا من وضعها الاقتصادي السيء آنذاك"[٣].

٢. دعمت الشركات الاقتصادية الكبرى سياسة هتلر العدوانية والتوسعية على أمل أن تخرج من محنتها الاقتصادية ومن أجل السيطرة على قرارات هتلر اعتقاداً منها بأنه سيخضع لأوامرها كما أنهم سعوا من خلال ذلك إلى إيجاد أسواق وموارد جديدة في الدول التي ستحتلها ألمانيا، ولقد سمى هتلر أصحاب تلك الشركات باسم (حلقة الاقتصاديين الأصدقاء)[٤]، كذلك هو الحال مع رئيس أمريكا بوش حيث دعم أصحاب الشركات الرأسمالية الكبرى حملة بوش الانتخابية وسياسته الطامحة إلى الاحتلال والسيطرة على مقدرات تلك الدول من الثروات الطبيعية أو الفوز بعقود إعمار الخراب الذي ستتركه آلة الحرب الأمريكية في تلك الدول وهذا ما نجده في العراق. ونذكر

---

[1] شيلر، وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، ج١، ترجمة خيري حماد، ص٢٢٣.

[٢] تشومسكي نعوم، "الدولة المارقة"، ترجمة محمود علي عيسى، ص٦٤.

[٣] المصدر السابق، ج١، ص٢٥٩.

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٧١.

على سبيل المثال شركة هايبرتون وهي إحدى الشركات الكبرى التي يمتلك جزءاً كبيراً من الأسهم فيها بعض أعضاء الحكومة الأمريكية الآن.

٣. قامت ألمانيا بإتباع سياسة حاولت من خلالها إيجاد حلفاء لها أو عملاء وهي سياسة الترهيب والتخويف[١]، كما سعت لإقامة قواعد في العديد من الدول التي انضمت لحلفها بواسطة تلك السياسة لتكون محطة انطلاق لغزو واحتلال الدول التي تعارض سياستها وأهدافها أو الدول التي لم تحتلها أو تقع تحت سيطرتها[٢].

وهذه السياسة اتبعتها أمريكا حيث نجحت إدارة بوش في خلق حلفاء لها وعملاء من كل أنحاء العالم ومنهم حكام وزعماء المنطقة، واستخدمت أراضيهم لبناء القواعد العسكرية ولتكون منطلقاً لشن الحروب على الدول التي رفضت وترفض منطق الهيمنة والسيطرة.

٤. استخدام الإعلام كأداة لتشويه الشعوب الأخرى وإظهارها بالشكل الذي يستطيع خلق نوع من التعبئة الجماهيرية سواءً على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وتقسيم العالم وفقاً لهذه الأداة (الإعلام) إلى طبقتين رئيستين ومتناقضتين، وهي دول حليفة ودول عدوة مارقة كما حاولت هذه الأداة إظهار تلك الدول المعادية لها بأنها دول عدوانية أو إرهابية، واعتبار الدول الحليفة لها من الدول الديمقراطية أو دولاً صديقة[3].

كذلك نجد أن الإعلام الأمريكي استخدم الأسلوب نفسه والحجج نفسها، إذ صور الإعلام الأمريكي أمريكا على أنها (زعيمة الدول المتنورة والمخولة باللجوء إلى استخدام القوة والعنف حين تراه مناسباً) ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصفت جريدة نيويورك تايمز السياسة الخارجية الأمريكية بأنها (التوهج المقدس) أو (الطور النبيل) وبدا الأمر وكأن أمريكا في قمة مجدها، ولا تمتلك سجلاً ملطخاً بالجرائم ضد البشرية[4]، كذلك نجدها وجهت آلة إعلامها إلى تصور الدول المناهضة لها على أنها دول إرهابية وتشكل تهديداً على جيرانها في المنطقة، ونذكر على سبيل المثال أزمة العراق في نيسان ١٩٩٨، احد أهم الأمثلة، حيث صورت واشنطن العراق على أنه (دولة مارقة) وتشكل تهديداً لجيرانها والعالم، وأنها دولة خارجة عن القانون ويقودها نظام نسخة جديدة من هتلر !؟[5].

---

(1) شيلر، وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، ترجمة خيري حماد، ج٢،ص٣٦٠.

(٢) ليدل، هارت، ب.هـ، القادة الألمان يتكلمون، ترجمة أكرم ديري، ص٣٣٠.

(٣) شيلر، وليام، المصدر السابق، ج١، ٤٧.

(٤) تشومسكي، نعوم، الدولة المارقة، ترجمة محمود علي عيسى، ص١٨.

(٥) المصدر نفسه، ص١٩.

وبعد ان أتضح لنا أهم الجوانب التي قامت عليها السياسة الأمريكية ومقارنة مع النازية الألمانية يجب أن نشير إلى الجوانب العنصرية المتعالية لتلك السياسات، فمن المعلوم أن الشعب الألماني يرى نفسه فوق كل الشعوب وإنه أرقى من كل أجناس البشر، وقد مارست نوعاً من التصفية العرقية ضد شرائح كبيرة من المجتمعات انطلاقاً من هذه النظريات العنصرية، حيث يقول هتلر **(على من ينشد الحياة ان يحارب ويناضل في هذا العالم، أما الذين لا يرون النضال في هذا العالم فلا يستحقون العيش، هذه هي الحقيقة على الرغم من قساوتها وصرامتها، ولنرى من هو طفل الطبيعة المحبوب، إنه القومي في شجاعته ومثابرته، الذي منحته العناية الآلهية حق السيدة، إنه الرجل الآري) وعلى الرجل المتفوق أن يقول لقد حققت ذلك عن طريق تخطيه للآخرين ووطأهم بأقدامه**[1]، وهكذا دعا هتلر إلى استعباد الأجناس الخاضعة دون إشفاق أو رحمة من قبل السيد المطلق لأنه الحافظ للسيادة.

وهذا ما نجده واضحاً في سياسة أمريكا الخارجية حيث أنها قسمت العالم إلى محور الشر ومحور الخير، كما أنها نظرت للقانون الدولي بازدراء حيث صورت نفسها على أنها فوق القانون وان مصالح أمريكا فوق الجميع، وهذا ما عبر عنه بوش بشكل صريح عشية غزو العراق عندما أصدر إنذاراً لا للعراق وإنما لمجلس الأمن الدولي يقول فيه:**(عليك أن تذعن وإلا فإننا سنقوم بعملية الغزو من دون أن تبصم موافقتك التافهة. وأننا سنفعل ذلك سواء غادر صدام حسين العراق وعائلته البلاد أم لا)** أي أن عصب المسألة هنا أن أمريكا تريد أن تحتل العراق، وان لدى الولايات المتحدة تخويلاً مطلقاً باستخدام القوة للدفاع عن أمنها القومي المهدد بالعراق[٢]. وهذا دليل واضح على ان تاريخ أمريكا مبني على التعالي واحتقار القانون الدولي، لا بل ان هذا الاحتقار متجذر بعمق في الممارسات السياسية لأمريكا[٣].

---

[1] شيلر، وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، ترجمة خيري حماد، ج١،ص١٧٢.

[٢] تشومسكي، نعوم، الدولة المارقة، ص١٩.

[٢] المصدر نفسه، ص٢٦.

٥. كما وجدنا أن الشعب الألماني يرى في هتلر أنه الرجل المناسب في كل الأزمات وان فيه سلطة سماوية مقدسة مليئة بالعواصف والأعاصير[1] نجد أن الشعب الأمريكي قد صور بوش على أنه المخلص الذي سيقود إلى فتوحات جديدة وأنه سيقوم بنشر ديانة الديمقراطية في كل شعوب العالم أي انه القائد المناسب لهذه الظروف الصعبة. هذا بالإضافة إلى انه تصور نفسه ملهماً من قبل الذات الالهية وموكلاً منها لشن هذه الحروب، كما ان أجهزة الأمن الرئاسية للبيت الأبيض كانت تطلق على بوش أثناء وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر باسم حركي هو (الملاك)[2]، خوفاً من أن يرصد أثناء تنقلاته في تلك الأزمة. ولكن كليهما لم يرتبطا بأي شيء سماوي بل أنهما تمسكا بعقيدة الأرض والحياة والغرائز ولم يجلبوا للأرض ولشعوبهم إلا الدمار والخراب والقتل.

المحور الرابع

نيتشه والنازية المعدلة

كانت ولا زالت الخصومة بين الكيف والكم جزءاً هاماً من تاريخ الإنسانية الروحي، فالكيف ينادي بالتفرقة وينكر المساواة، ويؤمن بالفرد أما المجموع فلا يعنيه شيئاً، المجموع بوصفه مجموعة وحدات متساوية أو متشابهة أو متقاربة، وإذا نظرنا للأشياء، فيجب ان نقوم بالتمييز بين بعضها البعض. وخلاصة القول انه يؤمن بالارستقراطية والامتياز.

أما الكم فكل شيء عنده سواء، حتى ولو حاولت إحدى الوحدات ان تتميز قليلاً لأنه يريد ان يخرج الناس جميعاً بصورة واحدة وان يطبق مقياساً واحداً، عليها، فهو يدعو للمساواة والأخلاق عندما تسعى لإسعاد المجموع، دون أي اعتبار للفرد[1].

لقد تجسد موقف نيتشه من هذا الصراع في حمل لواء الكيف وطالب بخلق ارستقراطية جديدة أعلى بكثير من الارستقراطية القديمة، ودعا الإنسانية للتعالي على نفسها شيئاً فشيئاً حتى تخلق طابعاً جديداً من الإنسانية وهذا الطابع هو الإنسان الأعلى (السوبرمان) ممهداً له بالإشادة بالفردية لأنها شرط لخلق الارستقراطية. وإنكار المساواة ودعوة الناس الممتازين لمحاربة العامة

---

[١] شيلر، وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، ترجمة خيري حماد، ج١،ص٢٩.

[٢] ودوارد بوب، "حرب بوش" حسين عبدالواحد، ص٦٧

[١] بدوي، عبدالرحمن، نيتشه، ص٢٥٥.

[٢] المصدر نفسه، ص٢٥٨.

والمجموع، وتفضيل الفرد على المجموع ما دام الفرد ممتازاً وطبع الحياة بطابع الفردية والذاتية[٢] ويرمي إلى الهاوية بأولئك الذين تخلوا عن ذواتهم وراحوا يلهثون وراء المثاليات[3].

وجاءت دعوة نيتشه لهذه الارستقراطية الجديدة (الإنسان الأعلى) السوبرمان على لسان زرادشت حيث يقول: "**إنني آتٍ إليكم بنبأ الإنسان الأعلى فما الإنسان العادي إلا كائن يجب ان نفوقه**"[4]، ويضيف نيتشه هذا الإنسان بالقول: "**من هو الإنسان الأعلى؟ ويجيب: انه ذلك اللهب وذلك الجنون، هو اللهب الذي يمتد اليكم، انه الجنون الذي يجب ان يستولي عليكم**"[5]، وهذا الإنسان يحتقر الإنسان العادي كاحتقار الإنسان للقرد، وهو معنى هذه الأرض (فلتتجه إرادتكم إلى جعل الإنسان الأعلى معنى لهذه الأرض)[1] وهو إنسان لا يؤمن بالأخلاق التقليدية، بل يؤمن بأخلاق البطولة والشجاعة والقوة التي لا تعرف الرحمة. كما ان هذا الإنسان لا يؤمن بالقوانين التقليدية، لأنه فوق كل قانون وكل تقويم، وهو الذي يحدد معتقدات العصر ويعطي للحضارة صورتها ويخلق القيم في حرية مطلقة غير آبه للخير والشر والحق والباطل فهو يخلق أخلاقه هو[2]، ولا يخضع إلا لرغباته وأهوائه، ويشبه نيتشه هذا الإنسان بالطفل لأنه لا يخضع إلا لإرادته وأهواءه ويتبع غرائزه وشهواته[3]، ولا يتبع صوت العقل أو صوت الضمير، لأنه قانون نفسه وأعلى من كل قانون.

لقد حاولت الكثير من الأوساط الإعلامية في الولايات المتحدة تصوير بوش على أنه صورة للسوبرمان (كما تصور هتلر سابقا). حيث حاول الصحفي الأمريكي وودوارد ان يصور الرئيس الأمريكي بوش على انه سوبرمان أو سوبر رئيس في كتابه (حرب بوش) من خلال تصويره لشخصية بوش وإدارته (المحافظين الجدد) وذلك من خلال الكيفية التي اتخذت بها قرارات الحرب ضد أفغانستان والعراق[٤] وأبرز الإحساس الغريزي للرئيس بوش هذا الإحساس الذي صرح به بوش صراحة حينما قال"**أنا أتبع حدسي وغريزتي، أسمعني، أنا من ثمرات حرب فيتنام، ان هناك خطأ دقيقاً بين القيادة التفضيلية للحرب ووضع التكتيكات من جانب، وبين التأكد نوعاً ما من ان هناك**

---

[٣] شتاير، رودولف، نيتشه – مكافحاً ضد عصره، ترجمة وتقديم: حسن صقر، ص٦٨.

[٤] نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فيليكس فارس، ص٣٠.

[٥] المصدر نفسه، ص٣٠.

[١] نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فيليكس فارس، ص٣١.

[٢] بدوي، عبدالرحمن، نيتشه، ص٢٦٤-٢٦٥.

[٣] شتاير، رودولف، نيتشه ٠ مكافحا ضد عصره، ترجمة وتقديم، حسن صقر، ص٧٣.

تركيزاً على الهدف حرصاً على التقدم دون تعجل من جانب آخر"[5]، لا بل ان بوش كان يصور نفسه تصويراً قريباً من صورة السوبرمان أو البطل أو الإنسان الأسمى، حيث عبر عن وجهة نظره في الدور الذي يتعين على أي زعيم ان يلعبه خلال أوقات الحرب والأزمات فيقول: "**انه يجب ان يكون مثل دور الكالسيوم في العمود الفقري...فإذا ضعف الزعيم أو الرئيس فإن الفريق العامل معه يصاب بالضعف والوهن، وإذا سيطرت الشكوك عليه ستسيطر على الجميع**"[6]. نلاحظ هذا التصور الفردي الاختزالي لكثير من العوامل التي تشكل الدعامة الأساسية لهذا الرئيس.

إننا لو تتبعنا النهج الذي اتبعه المحافظون الجدد في إدارة العراق، وإذا نظرنا إلى الممارسات والسلوكيات التي تتبعها قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، لوجدنا أنها سلوكيات تحتكم لمنطق القوة فقط، هذا المنطق الذي استخدم كحل لكل الأزمات، متجاهلة كل المواثيق والقوانين الدولية والقيم الأخلاقية وهذا ما عبر عنه بوش بوضوح بقوله: **(لن نستطيع مطلقاً ان نحصل على موافقة كل الناس على استخدام القوة، ولكن الفعل الذي يؤدي إلى نتائج ايجابية يمكن ان يكون نوعاً من القوة الجاذبة التي تمكن الأمم والقادة والمترددين من اللحاق بالصفوف وإقناع أنفسهم بان ما حدث كان خطوة ايجابية نحو السلام)**[1] ، ألم يعكس هذا النهج جانباً من جوانب فلسفة نيتشه، ألم يقل أن الشيء الوحيد الذي نحتاج إليه في هذه الحياة هو القوة لا الطيبة والكبرياء لا الخضوع والذكاء الحازم لا محبة الغير ومساعدة الآخرين وان المساواة والديمقراطية مناقضة للانتخاب الطبيعي وان الحكم الفاصل في كل الخلافات هو القوة[2]. وإن مصائر الشعوب يقررها الدم والحديد لا بلاغة الخطب وأصوات الناخبين[3].

ونجد صورة أخرى من صور فلسفة نيتشه متجسدة بالفوضى الناجمة عن هذه الحرب حيث أن الواقع العراقي أصبح صراعاً من أجل البقاء والقوي يأكل الضعيف سواء على مستوى الشارع العراقي "وفوضى العنف والسلاح"، أو على مستوى الواقع السياسي "وفوضى المقاعد والأصوات"،

---

(٤) وودوارد بوب، حرب بوش، ترجمة حسين عبدالواحد، ص١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ص١١.

(١) تشومسكي، نعوم، الهمجية أم البقاء، ترجمة سامي الكعكي، ص١٣٧.

(٢) ديورانت، ول، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، ص٥٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٠٥.

وهي من النتائج الإيجابية للحرب حسب اعتقاد نيتشه "**انها تولد البربرية وتقرب من الطبيعة، إنها أفضل أمطار الحضارة والتي سيخرج منها الإنسان أقوى سواء كانت خيراً أم شراً**"[4].

والصورة الأخرى من صور هذه الفلسفة تمثلت بالأخلاق التي حلت في المجتمع العراقي محل أخلاق الأخوة والشراكة والتسامح، فلم نجد أقليات أو طوائف أو قوميات بل كانت الأخلاق السائدة المتمثلة بالأعراف والتقاليد وأخلاق الشراكة التاريخية والتي كانت الرابط الأمثل والسلوك المتبع بين كل أفراد المجتمع العراقي، أما الآن فنجد أخلاق القوة بدأت تفرض نفسها على كل مكونات الشعب العراقي بغض النظر عما تتركه من آثار مهدمة لهذا النسيج المتجانس. كما ان سحر هذه الحرب بدأ يخبل الكل وروح القتال والعنف بدأت حديث كل الفئات وهذا ما قاله نيتشه على لسان نبيه زرادشت "**إنها تخبل المنتصر وتجعل المنهزم شريراً**"[1]، ألم نجد بعض الممارسات الطائشة والهمجية من قبل قوات الاحتلال على أنها نوع من الخبل أو الجنون، الم يكن قتل الأبرياء في بيوتهم، وإبادة المدن وأحداث (أبو غريب) نوع من أنواع الجنون، ألم يكن مقتل العشرات من الأبرياء مبرراً من أجل قتل جندي أمريكي واحد؟ ألم تكن هذه الفوضى نوعاً من أنواع البربرية وقربت الحياة في العراق إلى الطبيعة وحياة الغاب؟.

حاول الساسة الأمريكان، إذكاء الشعور بالخطر في أوساط الشعب الأمريكي وذلك لغرض استغلالهم وتعبئتهم نحو أهداف خاصة. فبعد أن كانت روح الخطر تجتاح الشعب الأمريكي بسبب خطر المعسكر الشرقي (السوفيتي) حاولت أمريكا خلق خطر جديد أشد خطراً وأكثر رعباً وغير محدد الأوصاف والمعالم، فيقول بوش "**هناك عدو ليس له شكل محدد أعلن الحرب على الولايات المتحدة، ولهذا فنحن الآن في حالة حرب**"[2] محاولين الاستفادة من خلال إذكاء هذا الشعور بالشكل الذي يتناسب مع أهدافهم ومصالحهم حيث يقول روزفلت:"**يجب إذكاء الشعور بالأزمة والخطر وتوظيفها بالشكل الجيد المفيد**"[3]. ويمكن عد هذه المحاولات كاستجابة للدعوة التي وجهها نيتشه لضرورة العيش في خطر (عش في خطر دائم)[4].

وخلاصة لما تقدم، يمكن القول انه إذا كانت فلسفة نيتشه قد أثرت أو وظفت بالشكل الذي يتلاءم مع أفكار النازية وممارساتها العنصرية المشينة لتاريخ البشرية عامة، فإن هذه الأفكار لاقت

---

(٤) نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فيليكس فارس، ص٢٩.

(١) نيتشه، فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ص٢٨.

(٢) وودوارد بوب، حرب بوش، ترجمة حسين عبدالواحد، ص٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٤) نيشته، المصدر السابق، ص٣٢.

صداً لها في ممارسات السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، لا بل إنها الشكل الجديد والمعدل للنازية الألمانية، إذا أنها أضافت للنازية سجلاً جديداً مليئاً بالقتل والإبادة والاغتصاب، كما مارست الكذب والخداع على إنها راعية الدول المتحضرة وراعية للسلام ولحقوق الإنسان التي لم تعرفها ممارساتها السياسية يوماً.

المصـادر

١. إبراهيم، زكريا، مشكلة الإنسان (مشكلات فلسفية٢)، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا ط، ١٩٥٩.

٢. تشومسكي، نعوم، الدولة المارقة، ترجمة محمود علي عيسى، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.

٣. الهمجية أم البقاء، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤. توماس، هنري، أعلام الفلسفة – كيف نفهمهم، ترجمة: متري أمين، مراجعة وتقديم: د.زكي نجيب محمود، منشور بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.

٥. دولوز، جيل، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣.

٦. ديورانت، ول، قصة الفلسفة – من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة: د. فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٧٥.

٧. شيلر، وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية – سقوط الرايخ الثالث، ج١، ج٢، ترجمة خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٦٦.

٨. قنصوة، صلاح، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١.

٩. لوكاكش، جورج، تحطيم العقل، ج٢، ترجمة الياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨١.

١٠. نيتشه، فريدريك، العلم المرح، ترجمة وتقديم: حسان بورقيبة – محمد الناجي، أفريقيا الشرق، المغرب، بلا ط، بلا ت.

١١. _____، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة جديدة كاملة فيليكس فارس، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

١٢. وودوارد، بوب، حرب بوش، الناشر مدبولي الصغير، مصر، ٢٠٠٣.

١٣. مكتب برامج الإعلام الخارجي لوزارة الخارجية الأمريكية، www.usinfo.state.cov
Data of the American foreign policy in Iraq

(In light of Nietzsche's philosophy)

M. Hijran Abdul Alah Ahmed Al-Salhi
Department of Philosophy / College of Arts

Abstract:

We present in this study the data of American foreign policy in the light of Nietzsche's philosophy, and we have included several axes, the first axis deals with a brief presentation of Nietzsche's philosophy or a reading in the book "This is how Zoroaster spoke", then the second axis of it deals with the impact of Nietzsche's philosophy in German Nazi thought in general and Hitler in particular As for the third axis, an approach will be drawn between German Nazism and Nazism in its new and modified version, which is represented by American foreign policy practices in Iraq. As it is no longer possible to include these practices within the framework and terminology of imperialist colonialism in the old classical term, because it is a special kind of imperialism that comes very close to the imperialism that originated in Germany and Europe at the beginning of the twentieth century, but rather many practices and factors have been very similar to it. Then the study ended with a final axis that came under the title (Nietzsche and the modified Nazism), who tried to paint the image that the American media portrayed Bush as a superman or a super president, and for the practices of American policy in Iraq.